مسائلة ابستيمولوجية لسوسيولوجيا استخدامات تكنولوجيات الإعلام والاتصال

د. سوهيلة زوار
المدرسة الوطنية العليا للسياحة الجزائر

ملخص :

أخذت تكنولوجيات الإعلام والاتصال تتغلغل في النسيج الثقافي والقيمي لمجتمعاتنا، حيث أضحت تعكس ممارسة اجتماعية وثقافية ولا تمثل عدة تقنية فقط، فهي لا تبوح بكل دلالتها من خلال تصور الباحث لها بعيدا عن رؤية مستخدميها ، وهو التوجه الذي يتوافق مع مقاربة سوسيولوجيا الاستخدامات، التي حررت الباحث من الهوس بالتقنية ودفعته إلى البحث في الظواهر الاتصالية بالاعتماد على شبكة من المفاهيم النظرية القادرة على مقاربة التمّلكات الاجتماعية للتقنية في علاقتها بسيرورات التواصل داخل مجتمع ما، (الاستخدامات الاجتماعية). وعليه سنحاول الإجابة عن تساؤل جوهري يبحث مدى نجاعة هذه المقاربة الجديدة في بحث الظواهر الاتصالية من خلال اخضاعها لمسائلة ابستيمولوجية.

الكلمات المفتاحية: سوسيولوجيا الاستخدامات، استخدام، تملك، استعمال، تكنولوجيات الإعلام والاتصال، ابستيمولوجيا.

Abstract:

The information and communication technologies have penetrated into the cultural and moral fabric of our societies. They reflect now a social and cultural practice and they are not only considered as Technical tools but also don't reveal their significance through the researcher's perception away from the user's view. A trend which is in line with the approach of "Sociology of uses" which liberates the searcher of the obsession of the technology and pushed him to look into the communication phenomena based on a network of theoretical concepts which is able to approach the appropriations of the technology with the communication process within a given society (social uses)

.therefore , we will try to answer a fundamental question which discuss the effectiveness of this new approach in examining the communication phenomena by subjecting them to an epistemological question.

Keywords: Sociology of uses, use, appropriation, utilization, information and communication technologies, epistemology.

مقدمة:

حدثت تغييرات كونية وجذرية شاملة في الثلث الأخير من القرن العشرين وبداية الألفية الثالثة فرضت علينا واقعا اجتماعيا وثقافيا جديدا، حيث خضعت الثوابت لتغيرات زلزلت قواعدها، إذ تجلت هذه التغيرات من خلال مظاهر عديدة، فقد حدث تحول من الحداثة إلى ما بعد الحداثة، من الحديث عن النسق المتوازن الذي يسعى إلى الاكتمال بإتجاه الحديث عن التفكيك والوحدة الكامنة في التنوع، ومن أبرز العوامل المسرعة لهذا التغيير تطور تكنولوجيات الإعلام والاتصال TIC ، والتي أفرزت بيئة سوسيوثقافية مشبعة بكل ما هو تقني، وعليه تغيرت الممارسات الإعلامية والاتصالية، حيث أصبح عالمنا متمحور أكثر فأكثر حول تكنولوجيات الإعلام والاتصال، وعليه فإن مختلف هذه التحولات تطرح إشكاليات من نوع جديد، تحاول أن تقارب هذه الظواهر الاتصالية وتدرسها، حيث برز في ثمانينات القرن الماضي تيار سوسيولوجيا الاستخدامات كحقل متخصص وأساسي، يظهر على أنه مناسب لتحليل البعد التواصلي لـ:"التنشئة الاجتماعية الالكترونية " أو الاتصال الوسائطي عن طريق الحاسوب"، وعليه تنطلق تساؤلاتنا الأساسية من إشكال جوهري يرتبط بعلاقة ابستيمولوجية هذا التخصص العلمي الجديد وفقا لتنوع مصادره النظرية والمنهجية وكذا التراكمات البحثية المندرجة فيه، ومدى نجاحه في مقاربة هذه الظواهر الاتصالية وانعاساتها في المجتمع.

ولأن أحسن طريقة لإيجاد الإيجابات، هو أن نبدأ بطرح الأسئلة، ونعتقد أن علم المعرفة أو الابستيمولوجيا ينبني على هذا، حيث تعرف بأنها "الدراسة النقدية لمبادئ العلوم ومناهجها"[1]، وعليه سنقدم أولا مدخلا مفاهيميا نشرح من خلاله مفهوم الاستخدام والمفاهيم القريبة منه، لننتقل إلى عرض قراءة نقدية في خلفيات تكوين هذا التيار العلمي، أسسه النظرية والمنهجية،

فروضه الابستيمولوجية وأهم الأبحاث التطبيقية المنجزة في إطارها، لنختم باستنتاج مدى ملائمته لدراسة الظواهر السوسيواتصالية socio-communicationnelle الجديدة.

1. مدخل مفاهيمي للبحث:

يعد تحديد المفاهيم العلمية خطوة ضرورية في البحث العلمي، وذلك لأن المفهوم Concept يمثل اللبنة الأولى في أي تخصص علمي، فهو يشير إلى الظواهر المدروسة، ويحدد الخصائص الجوهرية لها.

يتضمن تخصص سوسيولوجيا الاستخدامات العديد من المفاهيم العلمية، وقد يبدو ظاهريًا وجود نوع من الترادف بين هذه المفاهيم، غير أن المدقق سيلاحظ فروقًا واضحة بينها، وسوف نعرض في ما يلي أبرز المفاهيم المطروحة في سوسيولوجيا الاستخدامات – استخدام، استعمال، تملك- ، وهي تعكس الرؤى المختلفة للباحثين، كما تعكس في ذات الوقت، مدى تطور المعرفة العلمية في هذا الفرع الهام من فروع علم الاجتماع الإعلامي.

أ. **مفهوم الاستخدام** Usage

يشدد Pierre Chambat على الطبيعة المتعددة لمفهوم الاستخدام، وقدرته على بلورة الاختلافات أكثر من إبرازه لتيار سوسيولوجي خاص: " في حين نجد أن مسألة الاستخدام تحتل مكانة هامة بل ونامية في ميدان سوسيولوجيا تكنولوجيات الإعلام والاتصال، فالمحتوى والحالة النظرية للمفهوم هما بعيدتان كل البعد عن التوافق، فلا جدوى من الادعاء هنا بإعطاء تعريف، لأن معناه ينجم عن خيارات نظرية تجاوزها: فهو يساهم فعلا بالنقاش في السوسيولوجيا، يقابل العامل بالفاعل، مستويات المايكرو بالماكرو، التقني بالاجتماعي، الامبريقية بالنظرية النقدية. إذا فهو يشكل على الأقل نقطة ارتكاز للتحليل ... مفهوم مفترق الطرق، وعليه فبإمكان الاستخدام أن يكون فرصة لمواجهات بين الاختصاصات التي تتقاسم حقل الاتصال[2]"

ويحاول Pierre Chambat إيضاح مفهوم الاستخدام فيقول:" علاوة على بديهية المعنى المشترك... نجد للاستخدام معان كثيرة، تختلف حسب العلاقة الموجودة بين ما هو تقني وما هو اجتماعي"[3] فهو محل اختبار لمقاربات عدة للاستخدام، حيث تطور في ظل سوسيولوجيا الانتشار، والابتكارات، والتملك.

لا يفوتنا أن نشير في هذا المقام إلى أن تناول مفهوم الاستخدام في بحوث علوم الإعلام والاتصال لم يكن حديثاً حسب ما أشارت إلى ذلك Josiane Jouet، بل يعود إلى سيتنيات القرن الماضي مع تقليد البحوث الانجلوساكسونية، تحت ما يسمى ببحوث ـ" الاستخدامات والاشباعات"، والتي أعادت النظر في أنموذج التأثير من زاوية معاكسة لتحليل ماذا يفعل الأفراد بوسائل الإعلام؟، بدل ماذا تفعل وسائل الإعلام بالأفراد؟، ومن ثم أعيد الاعتبار للنشاط الايجابي للمستخدم بدل النشاط السلبي الذي كان منتشرا في بداية التحريات العلمية لظواهر الإعلام والاتصال[4].

يعتبر Serge Broulx et Philipe Breton الاستخدام بأنه: يحيل إلى جملة من التعاريف تتراوح بين التبني والتملك مروراً بالاستخدام، حيث أن التبني يتم دراسته من قبل سوسيولوجيا الانتشار والاستهلاك، ويجري اعتباره الزمن الأول في مصب التملّك ويتلخص غالباً في فعل الشراء والاستهلاك أما الاستعمال، فيحيل إلى مجرد الإستعمال البسيط لتقنية في وضعية وجهاً لوجه مع الأداة، ويتم دراسته من قبل علم النفس الإدراكي. أما تملك التقنية فيتم تحليله من قبل سوسيولوجيا الاستخدامات[5].

وبالرغم، من الغموض الذي يحيط بالمفهوم - والذي أشرنا إليه في البداية-، إلا أن أغلب البحوث التي تحدثت عنه لم تختلف في كون مفهوم الاستخدام يحيل إلى استخدامات اجتماعية usages sociaux للأدوات التقنية، وهو ما أشار اليه الباحث La Croix في التعريف الذي قدمه للاستخدام؛[6] فيرى بأن " أنماط إستخدام تظهر أساساً بصورة منتظمة، حيث تشكل عادات مندمجة في يوميات المستخدم، وتفرض نفسها في سياق الممارسات الثقافية مسبقاً، وتعيد إنتاج نفسها، بل وقد تقوم بمقاومة الممارسات الأخرى المنافسة لها أو ذات الصلة بها".

يعرفه "Yves-François Le Coadic" "بأنه نشاط اجتماعي يتحول إلى نشاط عادي في المجتمع بفضل التكرار والقدم، فحينما يصبح الاستعمال متكرر ويندمج في ممارسات وعادات الفرد يمكن حينئذ الحديث عن الاستخدام[7]

من هذا المنظور، فإن الحديث عن مفهوم الاستخدام، يشير إلى العلاقة بين التكنولوجيا والمجتمع بإعتبار أن الأدوات والوسائل التقنية لا تقاس بمعناها المادي في المجتمع فحسب، بل هي انعكاس لممارسات اجتماعية وثقافية تفرزها هذه الأخيرة في المجتمع.

وعلى أيّة حال، فإن مفهوم الاستخدام في بحوث الاتصال، يعكس مجمل الاستخدامات لتكنولوجيات الإعلام والاتصال من قبل الأفراد، وتتحكم في هذه الاستخدامات مجموعة من العوامل النفسية والاجتماعية والثقافية إنطلاقاً من ممارسات، تمثلات، وقيم خاصة، تربط الأفراد بمختلف الوسائل التقنية للاتصال، وعليه فإن سيرورة الاستخدام لهذه الأدوات التقنية – حسب ما أشارت إليه بعض الأدبيات-، لا يمكن فصلها عن الجسد الاجتماعي، وهو ما يقتضي دراسة وتحليل هذه العلاقة السوسيو-تقنية، في سياقات سوسيو-ثقافية مختلفة[8].

ب. مفهوم الاستعمال Utilisation

يوظف مفهوم الاستعمال في بعض الدراسات الإعلامية على أنه مرادف للاستخدام وفي دراسات أخرى على أنه مرادف للممارسة، وفي هذا السياق ولأجل تصحيح هذا اللبس، حاولت الباحثة الفرنسية Josiane Jouët التفريق بين مفهوم الاستعمال والممارسة، حيث يشير الأول إلى إستعمال بسيط للتقنية، أما الثاني فلا يشتمل على الاستعمال التقني للأداة التقنية فحسب، بل هي جملة من السلوكيات، الاتجاهات، والتمثلات، التي تربط الأفراد بطريقة مباشرة أو غير مباشرة بالأداة التقنية.[9]

أما بالنسبة لمفهوم الاستعمال في الإعلام فلقد جاء تحت عنوان "الاستعمال والإشباع" ، وهو مجال بحث جلب اهتمام الكثير من الباحثين الذين أرادوا التعرف على ماذا يفعل الجمهور بوسائل الإعلام ؟

يعني مفهوم الاستعمال، ما يخصصه الفرد أو الجماعة أثناء علاقته مع وسيلة ما أو لشيء مادي أو معنوي، وتهتم دراسات الاستعمالات بإظهار الاستخدامات الاجتماعية لمختلف هذه العناصر والمعاني الثقافية للسلوكيات اليومية للأفراد[10]

ونشير أن مفهوم الاستعمال يتمثل في توظيف أفراد الجمهور المتلقين أو المستخدمين للمضامين الإعلامية من أجل إشباع حاجات ودوافع نفسية أو اجتماعية، واختيارهم محدد بخلفياتهم الديمغرافية، والسوسيونفسية والثقافية، فهذه المتغيرات هي التي تحدد نوع المضامين الإعلامية التي يستعملونها أكثر من المضامين الأخرى، من خلال معرفة عادات الاستعمال مثل: الوقت المفضل، سياق الاستعمال، فطبيعة هذه الحاجات هي التي تحدد نمط المحتوى الذي سيتم استخدامه، أو تلقيه تبعا لطبيعة الوسيلة المستعملة.

ج. مفهوم التملك Appropriation

حضي مفهوم التملك باهتمام العديد من الأبحاث التي راهنت على دراسة وتحليل استخدام الأدوات التقنية في عالم حياة الأفراد، على اعتبار أن التملّك يتكون أساساً من المستخدم الذي يُفترض أنه ناشط إيجابي في علاقته بالأدوات الاتصالية، حيث يرى Flichy، أن المستخدم المتملّك، ينظم ممارسته الشخصية مع الأداة التقنية التي تسمح له بأن يختار مختلف الإمكانيات المتاحة للاستخدام، وبذلك تكون له إمكانية إعادة بعض الوظائف والتخلي عن أخرى[11]

وعلى صعيد أخر، ترى Jouet أن تملّك تكنولوجيات الإعلام والاتصال، يقتضي الربط بين الوسيط التقني والوسيط الاجتماعي، حيث أن التملّك يُبنى انطلاقا من مرجعيتين: فالأولى تتعلق بقيم الأنموذج التقني، والثانية تتعلق بالإطار المرجعي والرمزي للمجتمع[12]

يمثل مفهوم التملك مرحلة متقدمة في سيرورة الاستخدام، حيث يشير Riemy Rieffel إلى أنه الطريقة التي يبني بها المستخدم علاقته بأداة الاتصال. فضمن هذه العلاقة ومن خلالها يظهر المستخدم كفاعل يصقل إستخدامه ويشخّصه ويبنيه ذاتياً، من خلال ثقافته وممارساته التقنية والاجتماعية الأخرى المختلفة.[13]

وعلى ضوء هذا التعريف، فإن العلاقة التي يبنيها المستخدم مع أداة الاتصال، تجعل منه عنصراً نشطاً وليس سلبياً في إستخدامه للأدوات التقنية، وذلك من خلال تاريخه المعرفي والاجتماعي والثقافي، التي يجسده المستخدم في علاقته مع الأداة التقنية.

ووفقاً لذلك، حدد Proulx شرطين أساسيين يتحقق فيها التملّك وهما[14]:

- التحكم المعرفي والتقني في الأداة التقنية.
- إمتلاك حدٍ أدنى من المعرفة التي تمكن الفرد من إدماج الجهاز التقني بصورة مبدعة في حياته اليومية.

وفي موضع آخر يضيف Proulx شرطين أخرين وهما[15]

- أن يفتح الاستخدام المتكرر لهذه التكنولوجيات إمكانيات للإبداع (أفعالاً تولّد الجديد في الممارسة الاجتماعية).
- على المستوى الجماعي، فإن التملّك الاجتماعي يفترض أن يكون المستخدمون ممثلين بشكل ملائم في عملية رسم السياسات العمومية، وفي الوقت ذاته، أن يؤخذوا بعين الاعتبار في سيرورات الإبداع (الإنتاج الصناعي والتوزيع التجاري).

وعليه، فإنه لا يمكن الفصل بين البعد الإبداعي ومفهوم التملّك، إذن فالتملّك بهذا المعنى هو القيمة المضافة التي تكون محصلة لسيرورة الاستخدام ونتيجة لها. حيث أنه لا ينصب تناول مفهوم التملّك على تصميم الأجهزة التقنية، وإنّما ينصب على تطبيقاتها في الحياة الاجتماعية ووصف سيرورة تكّون الاستخدامات وتشكّلها[16]

فالمستخدم المتملّك، بهذه الصورة، يشخّص استخداماته وتطبيقاته الاتصالية والافتراضية انطلاقا من الاستقلالية التي تسمح بها الوسائل التقنية، وكذا عنصر الإبداع الذي يسعى المستخدم إلى ممارسته من خلال علاقات المحادثة والمساهمة التشاركية، وأيضاً في حدود ما تسمح به العدد التكنولوجية.

2. خلفية تكوين مقاربة سوسيولجيا الاستخدامات:

يبدو أن مقاربة سوسيولوجيا الاستخدامات نشأت تدريجيا في حقل البحوث المتعلقة بتكنولوجيات الإعلام والاتصال Tic، وكأنها الطريقة الأكثر شرعية لصياغة العلاقة بين وسائل الاتصال والممارسات الاجتماعية حيث أن هذه العلاقة تؤسس حسب josiane jouet 17 أهم سمات البحث المتعلق بوسائل الاتصال.

فمن خلال ملاحظة مسحية قمنا بها شملت مجموعة معتبرة من المراجع المتخصصة في سوسيولوجيا الاستخدامات، المتأثرة في معظمها بالتفكير حول تكنولوجيات الإعلام والاتصال Tic، لمسنا ثراء وتنوعا إلا أننا خلصنا إلى أن كل من Josiane Jouet و Pierre Chambat و Serge Proulxيعدون من أهم الرواد المؤرخين والمنظرين لسوسيولوجيا الاستخدامات، حيث يركزون على ميزة تعدد وتنوع الإشكاليات في التيار، والاعتراف المؤسساتي التدريجي به، وعلى التنوع في البحوث التي يشتمل عليها، كما قدموا مقالات ونصوصا تلخيصية نقدية لمسار هذا التيار، وبتركيزنا على النصوص التلخيصية[18] proulx، Jouet[19] ، chambat[20] نجد أنفسنا في طريق تتبع الخطوط المؤدية إلى نشأة هذا التيار، ومختلف الجوانب المساعدة على تطوره، وأهم الفرضيات التي تقوم عليها البحوث المندرجة في إطاره.

تشدد Jousiane Jouet على صفة تزامن الأبحاث الفرنكوفونية الأولى المتعلقة بأدوات ووسائل الاتصال، مع الأبحاث الأولى لسوسيولوجيا الاستخدامات، فحسبها فإن الدراسات الأولى أنجزت في قسم الأبحاث الاستقبالية لـ: l'INA تزامنت مع صدور أول نشرية ساهمت في تداول "شعبية"

مفهوم الاستخدام، وكذا دراسة Badoulin , Gaudin, et Mallein والمعنونة بـ « Le Magnétoscope au quotidien un demi puce de liberté »،[21] سنة 1983، والتي أكدت بصورة كبيرة على أن الأبحاث الأولى متعلقة بأدوات ووسائل الاتصال، والتي لم يشرف عليها باحثين مختصين في الاتصال، أو وسائل الاتصال الجماهيري، حيث تطورت خارج النماذج الكلاسيكية لعلوم الإعلام والاتصال (وسائل الإعلام، السيمولوجيا...) فسوسولوجيا استخدامات تكنولوجيات الإعلام والاتصال Tic، نستطيع أن نقول أن نشرها كان سري نسبيا، وكان متأثرا بالمناقصات التي أطلقتها المديرية العامة للاتصالات D.G.T ، والمركز الوطني لدراسات الاتصالات CNET ، ووزارة البحث، والتي ساهمت في تطوير الأعمال المنجزة من هذا المنظور.

توجد العديد من المراجع التي تشير إلى أن ظهور هذه المقاربة كان خلال ثمانينات القرن الماضي،[22] Marchand et Ancelin 1984،[23] jouréguiberry 1989، [24] proulx et tahon في 1989، ولكن بدايات التسعينيات شهدت تطور ونمو سوسيولوجيا الاستخدامات، حيث أن تعداد الأعمال العلمية الهامة، يؤكد هذا التصور والفهم بالإضافة إلى نشر العديد من الأوراق النظرية في منتصف التسعينيات تشهد على تقارب مهم حول مسألة الاستخدامات والمستخدمين، وأدوات الاتصال خلال هذه الفترة.

أما فيما يخص المصادر والأصل النظري وأصل التخصص لهذه المقاربة، التي ظهرت بظهور الاستخدام، فالتفاسير تختلف، حيث نجد Josiane Jouet تبرز الاستقلال النسبي لسوسيولوجيا الاستخدامات تجاه إشكاليات التلقي التي طورت داخل سوسيولوجيا وسائل الإعلام الجماهيري البريطانية. وهي تؤكد على تأثير الأفكار والتأملات، التي طورت في حقل السوسيولوجيا السياسية، سوسيولوجيا التغيير الاجتماعي وسوسيولوجيا أنماط الحياة. "في الواقع، الإشكاليات التي لعبت دور العامل الأول في تيار سوسيولوجيا الاستخدامات لا تُرد إلى مجال الاتصال بقدر ما هي نابعة من مقاربات سوسيولوجية جديدة ظهرت بعد 1968، والتي صبت جم اهتمامها على دراسة تحولات المجتمع. وإشكاليات سوسيولوجيا أنماط الحياة والسوسيولوجيا العائلية والسوسيولوجيا المهنية، كانت جد مثمرة في هذه الفترة حيث تأثرت بتيار الاستقلالية الاجتماعية (الذاتية) l'autonomie sociale ، فتشير كتابات عديدة إلى أن تلك الفترة شهدت وجود هشاشة في هياكل الانتماء (الأصلي) التقليدي (إزالة الفوارق الاجتماعية، الابتعاد عن الدين والنقابات...) أزمة المؤسسات (التربية الوطنية والصحة والعائلة)، تفكيك الإيديولوجيات... فهي كلها عوامل تغيير

رافقتها ممارسات اجتماعية فريدة من نوعها"[25]. حيث أحيت بعض المفاهيم التي تعود إلى الاثنوميتودولوجيا، والألسنية الاجتماعية، وسوسيولوجيا الابتكار وذلك لدراسة علاقة النشاط الاجتماعي بوسائل الاتصال.

وهناك مؤلفون آخرون يصفون التحول الكبير خلال سنوات الثمانينات، والمتعلق بمقاربة الإشكاليات المختصة بالابتكارات التقنية، والاتصال ووسائل الإعلام، مشكلة نظرة استقبالية للاستخدام مثل Victor Scardigli و Philippe Mallein و Yves Toussaint ، كل هؤلاء رجحوا التحول من مقاربة "تكنو-منطقية" إلى " تكنو-اجتماعية"، هيمنت خلال السبعينيات مع تفضيل التحليل المركز على العرض التقني وتجلياته الاجتماعية[26]، أو وضع علاقة سببية بين الابتكارات التقنية والتغيير الاجتماعي، أي الانتقال إلى مقاربة "سوسيو-تقنية' يتم فيها التطرق إلى استخدام تكنولوجيات الإعلام والاتصال كمفاوضة بين العرض التقني والطلب الاجتماعي.

في الأخير، يبدو لنا أن كتابات Michel de Certeau حول مهارات العمل اليومية les arts de faire quotidiens [27] تشكل إحدى مصادر إلهام معترف بها إجماعا من طرف مناصري مقاربة الاستخدام، خاصة الذين يميلون إلى مقاربة كيفيات التملك، والاستخدامات الاجتماعية النشطة.

3. الفروض العلمية لتيار سوسيولوجيا الاستخدامات

من خلال الملاحظة المسحية التي أجريناها على مجموعة معتبرة من البحوث التي تندرج كليا أو جزئيا في تيار سوسيولوجيا الاستخدامات تمكنا من الوصول إلى استنتاج مهم يكمن في أن أغلب هذه الأبحاث يمكننا تصنيفها وفقا لفرضيتين بحثيتين وأساسيتين، سوف نفصل فيهما كما يلي:

الفرضية الأولى والمرتكز على القاعدة الابستيمولوجية التالية: إن معالجة وتناول موضوع استخدام تكنولوجيات الإعلام والاتصال les TIC يتأتى من خلال ما يعرف بالوساطة المزدوجة، - اجتماعية وتقنية-، تعمل بين وسائل الاتصال ومستخدميها.

تعتبر الوساطة المتبادلة بين التقني والاجتماعي أمر أساسي بالنسبة لتفكير علماء سوسيولوجيا الاستخدامات، لاسيما عند Jouet Josiane ففي عام 1993 قامت بنشر مقال نظري يعد رئيسيا بالنسبة لنا، أرست Jouet من خلاله أسس هذا النموذج من

الوساطة المزدوجة، من خلال ملاحظة طريقة العمل الاجتماعي في تعاطيه مع تقنيات الاتصال، فتقول أن "ظهور النظام التقني في عملية الاتصال لا يستبعد العمل الاجتماعي في محتوى التفاعل".[28]

وتؤكد Jouet في هذا المقال على الأصول النظرية، وطبيعة إختصاص هذه المقاربة، من خلال تلخيصها للنماذج التي إفترضت العلاقة بين الأجهزة التقنية والأحكام الاجتماعية، فهي تؤكد بشكل خاص على المقاربة التاريخية المنتهجة من طرف Patrice Flichy الذي ينفي الفصل الجذري بين البناء التقني للجهاز وبنائه الاجتماعي، ثم تشير Josiane Jouet إلى المساهمة الأساسية لأنتروبولوجيا العلوم، التي تذيب الفجوة بين الاكتشافات العلمية والسيرورات الاجتماعية، مع التركيز بوجه خاص على نموذج الترجمة لـ: Latour et Callon، كما تقوم أيضا بالثناء على أعمال المختصين في الإثنوميتودولوجيا وعلماء الاجتماع واللغويين الاجتماعيين، الذين يأخذون بعين الإعتبار التفاعلات المعقدة بين الأجهزة التقنية ومستعمليها[29].

كما خاضت Josiane Jouet في الإنتماءات النظرية لسوسيولوجيا الاستخدامات، وسنركز هنا على الإفتراضات للمصادر النظرية الثلاثة المتناولة للوساطة المزدوجة للتقني والاجتماعي .

أولا، لمسائلة ونقد أفضل للخطابات التي تفترض ظهور تغيرات اجتماعية كبيرة تحت أثر وسائل الاتصال الجديدة، وتتغاضى عن الوجود الاجتماعي القبلي للأطر والممارسات، معتبرة الابتكار التقني متحرر عن ظروف اعتماده، يقوم المختصون في سوسيولوجيا استخدامات تكنولوجيات الإعلام والاتصال بتبني أعمال نظرية لسوسيولوجيا الابتكار، والتاريخ السوسيوتقني، وخاصة النموذج الذي سيتم اقتراحه من قبل Patrice Flichy سنة 1995 في كتابه L'innovation technique: Récents développements en sciences sociales, vers une nouvelle théorie de l'innovation [30] من أجل تنظيم صياغة معقدة وتفاعلية بعيدة عن أي حتمية بين التقني والاجتماعي وكذا اعتماد منظور إجرائي وتبادلي، يستند Patrice Flichy على المفهوم المركزي للأطر المرجعية السوسيوتقنية، فهو يسعى لوصف الأوقات الثلاثة لهيكلة نشأة واستقرار هذه الأطر[31]

- الأول، يتوافق مع ما قبل التأريخ للابتكار.
- الثاني، فيعد وبشكل خاص فترة غير مستقرة، أين تتداخل الرؤى المتناقضة أحيانا، و/ أو يحدث تقارب بين العناصر الطوباوية والخيالية.

- الثالث، مرحلة حدود الجهاز التقني، وهي مرحلة رفع الغموض، مرورا من الميثالية إلى الواقع ومن التجريد إلى التجسيد.

بناء على Patrice Flichy ، يسعى المختصون في سوسيولوجيا الاستخدامات إلى وصف سيرورات الإستقرار في الاستخدامات الاجتماعية لأدوات الاتصال، انطلاقا من مبدأ أنه لا يتم نشر الأنظمة التقنية واستعمالاتها في فراغ اجتماعي: "لا يمكن تطوير أي إبتكار دون تعديل لإيجاد مستعملين جدد، وبدورها التغيرات في أنماط التنظيم الاجتماعي تحقق خدمات ومنتجات جديدة، كانت غير جلية في وقت سابق، على الرغم من أنها كانت ممكنة، فلم يظهر لا الترانزستور le transistor، ولا التلفزيون، ولا حتى الأنترنت، في الوقت الذي سمح لهم التقدم التقني: حيث توجب الأمر معادلة تقنية واقتصادية واجتماعية من أجل الظهور. باختصار، فإن التقدم التقني القصير والسريع جدا يندرج دائما في نظام سوسيوتقني معقد"[32].

وفي الوقت نفسه، تؤكد Josiane Jouet قائلة" يتم أيضا تحليل استخدام التقنيات الجديدة من خلال نوع التجربة التي تجري بين الفرد والأداة التقنية، أين تلعب طريقة الاستعمال عن طريق الدليل التوجيهي دور الناقل من الآلة نحو المستخدم، حيث لا يدرك المستخدم بعض عناصر الجهاز، كما يعيد تفسير البعض الآخر، أو ينحني إلى النمط السوسيوتقني للآلة، فتتم الترجمة والتفسير من خلال مفاوضات دائمة بين الأداة والمستخدم".[33]

ثانيا: وفي مجال البحث في تكنولوجيات الإعلام والاتصال، يعتبر كل من Madeleine Akrich et Dominique Boullier هما الوريثان الأساسيان لنظريات سوسيولوجيا الابتكار، حيث جمعا بين إسهامات هذه المدرسة الفكرية - التي تركز أساسا على عملية التطوير التقني، مع سوسيولوجيا الفعل أو النشاط sociologie de l'action[34] ، حيث يتجاوز هذين الباحثين التمييز الأساسي بين الرجل والآلة – أي ثنائية التقني والاجتماعي-لتطوير مقاربة فيما يخص التعديل المتبادل، ففي وقت مبكر كانا يهتمان بإدماج الاستخدام طوال المسار الإبداعي من قبل المصممين، فظاهرة الترجمة والتفسير تتم بين أداة الاتصال وطريقة استعمالها والمستخدمين وكذا أنظمة التعديل أو التنسيق بين الأجهزة التقنية ومستخدميها ، فقد درسا معا من هذا المنظور تشكل طرق الاستخدام، وواصلا بعدها بحثها بشكل مستقل، كل واحد على حدا، من خلال تطويرهما لنماذج نظرية حول استخدام وسائل الاتصال المتنوعة من مثل الموزع الآلي للتذاكر في محطات السكك الحديدية وأنظمة المراقبة عن بعد و البريد الإلكتروني.

أخيرا، يغذي المصدر النظري الثالث تفكير علماء سوسيولوجيا استخدام تكنولوجيات الإعلام والاتصال حول الوساطات المتبادلة بين أجهزة الاتصال والمستخدمين من: المقاربة السوسيولغوية والتحادثية،" تُظهِر من جهتها تعقيد حالة الجهاز التقني مقارنة بالنشاط التواصلي، فلا نبالغ إذا وصفناه بالعلبة السوداء، حيث أن الوسيط كجهاز تقني يتضمن جوانب عدة للعلاقة التفاعلية، كونه موضوع تقني كما يتضح من خلال تحليل الهاتف المرئي والبريد السهل la messagerie conviviale"[35] ، كما يقوم المختصون في الاثنوميتودولوجيا والسوسيولغويون، بالإضافة إلى الدراسات حول التفاعل العملي بين وسائل الاتصال ومستعمليها، بوضع تحليل شامل للهياكل الرمزية المتعلقة بهذه الأدوات، والإهتمام خصيصا بوضعيتها كأداة،" artefact communicationnel"، "موضوع متصل"، وكذا "أجهزة الاتصال".[36]

يهتم Louis Quéré بمسألة "البناء الاجتماعي للفردانية والسلوك الإجتماعي للمواضيع والأجهزة التقنية".

فالمبدأ الرئيسي في تحليله يتمثل في اعتبار أنه "لا يوجد جهاز في حد ذاته للتواصل، ليصبح موضوع أو جهاز أو آلة ما، باختصار، بمجرد أن بعض الأجهزة يمكن أن تصبح محددة وملاحظة ومستعملة وقابلة للتحليل والوصف كأجهزة اتصال، سواء للاستخدام أو للخطاب، من جهة إلى أخرى، يوجد بناء اجتماعي يجب أخذه بعين الاعتبار"[37]

من جانبها تقوم Michel de Fornel بتحليل الاستخدام التجريبي للهاتف المرئي في بياريتز Biarritz وتتسائل عن وضعية آلة الاتصال،[38] بعد التفصيل في المهارات والتعديلات التفاعلية المنفذة من قبل مستخدمي الهاتف المرئي، خاصة من خلال مقارنة هذا الجهاز مع خصائص الاتصال المباشر وجها لوجه، تختم Michel de Fornel مقالها مشيرة إلى أن الهاتف المرئي ليس مجرد أداة، ولكن un véritable artefact interactionnel ، "فهو لا يكتسب هذا الوضع إلا بظهور تدريجي للممارسات والمهارات من أجل أن يشتغل الهاتف المرئي كآلة اتصال، وهيكل وسائطي.

قامت تيارات الفكر الثلاثة وأنظمتها النظرية بما فيها التاريخ السوسيوتقني، وسوسيولوجيا العلوم وسوسيولوجيا الابتكارات، والاثنوميتودولوجيا، بتزويد البحوث المتعلقة باستخدام تكنولوجيات الإعلام والاتصال بخلفية علمية من خلال إبراز الإدماج المزدوج للتقنية في المجتمع والمجتمع في التقنية.

الفرضية الثانية والمرتكزة على القاعدة الابستيمولوجية التالية: "التفكير متجدد حول العلاقات المتبادلة بين المبتكرات التقنية والتغيرات الاجتماعية".

على الرغم من أن العديد من الكتاب والباحثين المختصين في سوسيولوجيا الاستخدامات، يرفضون الخطاب المغالي بإيجابية "مجتمع المعلومات"، إلا أنهم ليسوا أقل اهتماما بإشكالية التغيير الاجتماعي، حيث يشككون في التأثير المباشر لتكنولوجيات الإعلام والاتصال TIC على أنماط وطرق الحياة، وكذا طريقة التنظيم والتفكير، ولكن حاولوا تطوير مقاربة معقدة للوساطة بين المبتكرات التقنية والتغيرات الاجتماعية،.

إن المختصين في تكنولوجيات الإعلام والاتصال TIC ينتجون أفكارا وتأملات تندرج غالبا في حقل أوسع من التساؤلات الكلاسيكية حول التغيرات الاجتماعية الجارية، إلى حد أن Alain Gras في مقدمة الكتاب المعنون بـ: Sociologie Des Techniques de la Vie quotidiènne، بدأ بالإشارة إلى أن تقنيات الحياة اليومية يجب أن ينظر إليها في سياق أوسع لمسائلة حول التغيير الاجتماعي[39].

إن الأعمال المنجزة حول استخدامات تكنولوجيات الإعلام والاتصال بداية من سنوات الثمانينات، إلى غاية العشرية الأولى من الألفية الجديدة، مع التركيز على إدراج دراسة الممارسات الاتصالية في سياق مناقشة أوسع حول تطور مكانة الفرد في المجتمع، وحول تطور الروابط الاجتماعية، وحول تحولات الأدوار الاجتماعية والتنظيمات العائلية، وحول تطور أنماط الحياة، والمعايير والمؤشرات المكانية والزمانية التقليدية، والممارسات الحضرية، وحتى على التحولات الأنتروبولوجية المعاصرة.

من أولى المهام الموكلة للمختصين في سوسيولوجيا استخدامات تكنولوجيات الإعلام والاتصال هو تسليط الضوء على التناقض الصارخ بين الواقع الاجتماعي والمبالغات المتعلقة بالتغيرات الاجتماعية المتوقعة تحت أثر الانتشار الواسع لأجهزة الاتصالات، وسوف نجد أيضا أنه في الوقت الذي نشأ فيه وسط علمي منشغل بمسألة الإستخدامات ظهر عدد مهم من النصوص المتعلقة بتصور التطور المجتمعي. من مثل مقالات[40] Chambat وكتابات Scardigli فبينما أُعلن عن ظهور مجتمع الاتصال منذ أكثر من 20 عاما، فإن Pierre Chambat يلاحظ رفقة آخرين[41]أن التغيرات العميقة في أنماط الحياة التي تم التنبأ بها لم تتحقق بعد.

أما Yves Toussaint في مقاله المعنون ب: « La parole électronique du Minitel aux Nouvelles Machines à communiquer" [42] يشير أيضا إلى المينتال والتغيير الاجتماعي، حيث ركز على الهوة الموجودة بين المثالية التقنية وواقع الإدماج الاجتماعي لتكنولوجيات الإعلام والاتصال TIC، وأخيرا

وكما أشارت Josiane Jouet فإن الأفراد يفعلون نفس الشيء ولكن بشكل مختلف حيث أن التغييرات الاجتماعية هي أقل شعبية ودراماتيكية من تلك التي تم الإعلان عنها، فحتى ولو كان يمكن ملاحظة الأثر الفعلي لتكنولوجيات الإعلام والاتصال تكون مرئية فقط في الفجوات الاجتماعية [43]، علاوة على ذلك يبدو أنه بالنظر إلى التغيرات المسهلة لظروف الحياة عن طريق استخدام الأدوات الجديدة للاتصال، وتغير سبل الوصول إلى المعلومات، وكسر الحدود التقليدية للتقسيم اليومي للحياة، وتغيير أنماط المؤانسة الاجتماعية...إلخ، فإن الأفراد يعيدون ترتيب ممارساتهم .

بالنسبة لـ Victor Scardigli وبقية أنصار تيار سوسيولوحيا الاستخدامات، لا ينبغي اعتبار التكنولوجيا العامل الوحيد المسبب للتغييرات في أنماط الحياة بل بالعكس فالعلاقة الجدلية بين المبتكرات التقنية والإبتكارات الاجتماعية هي التي يجب أن تشكل نقطة الارتكاز، حيث أن تكنولوجيات الإعلام والاتصال TIC توفر حقلا متميزا للملاحظة [44]

لتلخيص مبسط للعناصر الرئيسية التي طورها المختصون في سوسيولوجيا الإستخدامات، والمرتبطة بالعلاقة بين المبتكرات التكنولوجية والتغيير الاجتماعي، نفترض أن هذه العناصر يبلغ عددها ثلاثة، وهذا التمييز الثلاثي، الذي بني لأغراض غير واضحة في بعض الأعمال التي إطلعنا عليها.

أولا، يبدوا أن معظم المختصين في سوسيولوجيا الإستخدامات أثاروا هذه الإشكالية، من خلال تشديدهم على أسبقية وجود التغييرات الاجتماعية الواسعة، التي مكنت ودعمت تطوير مختلف تكنولوجيات الإعلام والاتصال TIC، Victor Scardigli على سبيل المثال بيّن أن استخدام الهاتف عمم بصفة أقل لدعم الحراك الاجتماعي، ولكن عمم بصفة أكبر لأجل تميز أنماط الحياة بالفردانية، وتحويل المساكن إلى أماكن حياة جماعية[45].

كما أكد Jean Pierre Heurtin من هذا المنظور، أن التغييرات الاجتماعية ستكون مرتبطة ومحددة بصفة أقل من طرف الميزات والخصائص التقنية للوسائل الجديدة، مقارنة مع التغيرات العامة التي تخترق الفضاءات الاجتماعية[46].

ثانيا: حاول الباحثون في بعض الأحيان العثور على تقارب بين تطور الممارسات الاجتماعية، وأنماط التنظيم، والميزات التقنية لبعض الإبتكارات التكنولوجية، وفي هذه الحالة، فإن الاستخدامات

الملاحظة لأداة اتصالية ما، تتعلق أساسا وترجع إلى احتياجات اجتماعية جديدة[47]، أو بالعكس تجلب تعويضات مقابل التوقعات والانتظار الاجتماعي الجديد، الحاكم عليها سلبا.

Philippe Mallein وYves Toussaint مثلا يؤكدان أن نجاح الإدماج الإجتماعي للمانيتوسكوب Magnétoscope والمينتال Minitel في العائلات يفسر من خلال التطورات الواسعة في الأشكال الاجتماعية للعائلات، مثل الانتقال من نموذج التسلسل الهرمي السلطوي إلى النموذج التفاوضي، حيث أن تطور نموذج العيش الجماعي ذو طابع فردي خاصة، أو بعض الظواهر كانفجار الأزواج les couples، والحياة المادية [48]، وفي نفس السياق نجد Jean Pierre Heurtin وبعد بضع سنوات، أمد في هذه الملاحظة: حيث أكد على الإستجابة الكافية التي قدمها الاتصال المحمول ردا على الإحتياجات الجديدة، كعدم التعارف وكذا تحرر بعض أعضاء العائلة الواحدة، وكذا ردا على مجموع الاحتياجات الجديدة كإدارة الطوارئ في أماكن العمل[49] .

وأخيرا ومن خلال الجمع بين النموذجين السابقين، نجد أن المختصين في سوسيولوجيا الإستخدامات يظهرون أيضا كيف للإبتكارات التكنولوجية والتغيرات الاجتماعية السابقة، التي تحضر لتبني وسائل اتصال جديدة، في ظل سيرورة توليد جدلية تتجدد باستمرار، حيث يشير Laurence Bardin[50] إلى ذلك موضحا أن التملك الحالي للهاتف النقال كان محضرا ومعدا مسبقا فيقول: "من جهة، ومن خلال المستويات السابقة لإستخدام الهاتف الثابت، أو المواد المكملة له، ومن جهة أخرى، ومن خلال بعض التطورات في المجتمع، وكذا الحاجة التعويضية، للاستفادة من المحمول.

وهكذا فإن المختصين في سوسيولوجيا إستخدامات تكنولوجيات الإعلام والاتصال يقترحون التفكير وبصفة معقدة في التمفصلات بين المبتكرات التقنية والتطورات الاجتماعية، وتجاوز الطرح المباشر الذي ينوء دائما عن ربط التغيير الاجتماعي بصفة مباشرة وآلية باستعمال تكنولوجيات الإعلام والاتصال، في طل تغييب للسياقات الاجتماعية والثقافية الأخرى.

4. الأسس النظرية والمنهجية لتيار سوسيولوجيا الاستخدامات :

إذا اختلف منظرو سوسيولوجيا إستخدامات تكنولوجيات الإعلام والاتصال TIC حول أصول هذه المقاربة، فإن Pierre Chambat et Jousiane Jouet يؤكدان على تنوع المصادر النظرية، والبراديقمية، والتخصصية، التي يتغذى منها هذا الحقل، وأكثر من ذلك، على تعدد تخصصات هذا التخصص pluridisciplinaire .

يؤكد Pierre Chambat أن سوسيولوجيا الاستخدامات لا تظهر في الأصل كتيار متجانس ومهيكل، وأنه لا يشكل تخصص فرعي معروف في علم الاجتماع، " كسوسيولجيا العمل مثلا، التي تملك شرعية نتعرف عليها من خلال إشارات مؤسساتية"[51]، حيث أن الدراسات التي تنتمي إلى هذا التيار بشكل واضح، تكتسي في الحقيقة فسيفساء من الأبحاث، فهي تنتمي إلى سوسيولوجيا التقنيات، والاتصال، وأنماط الحياة.

وبعد ستة سنوات، Jousiane Jouet تتوسع في هذه الفكرة مصرحة: "في غياب مراجع نظرية مشكلة، ونماذج للتطبيق، نشأت سوسيولوجيا الاستخدام عن فيض من تراكيب فكرية وتقاليد تصورية"[52]، وأشارت أيضا إلى الضعف العددي للباحثين الذين يدعون انتسابهم إلى هذا المجال، والذي يرجع إلى غموض أصوله أحيانا.

إن وقائع أشغال المؤتمر المنعقد سنة 1992 تحت إشراف Pierre Chambat والمعنون بـ: "communication et lien social: usages des Machines à communiqué" تشهد على تنوع الباحثين والأبحاث الفرنكوفونية في حقل سوسيولوجيا الاستخدامات، ففي بدايات التسعينات نجد هذا المرجع الذي جمع بين الباحثين الفرنكوفونيين المهتمين بهذه المقاربة، والذي وفر نظرة عن تباين أعمالهم، خاصة من زاوية الأدوات الاتصالية المدروسة (التلفزيون عالي الوضوح TV haute définition ، الكابلات، الفاكس، المينيتال، أنظمة المراقبة عن بعد، بطاقات الذاكرة، المعلوماتية المنزلية informatique domiciliaire ...) حيث يقدمون رؤى وإسهامات مهمة ، فنجد مثلا Guillaume, Chambat يقدمان تأملات عامة حول الآلات الاتصالية، أما Quéré فينسج قراءة نقدية لهذا التيار، ويساءل هجانة الآلات التقنية، والقيم الثقافية والاجتماعية، وبخصوص Sfez et Musso فيريان أن طريقة التفكير في سوسيولوجيا الاستخدامات تقترب من علم الاجتماع السياسي، وأخيرا نجد Toussaint et Gourney فيريان أن سوسيولوجيا الاستخدامات هي عبارة

عن اثنوغرافيا تستهدف استخدامات بعض تكنولوجيات الإعلام والاتصال les TIC، على الرغم من هذا التنوع فان مجموع هؤلاء المساهمين يجتمعون حول نواة مشتركة، بالإضافة إلى أن هذا المرجع يعكس ديناميكية التفكير حول الاستخدام، وينبأ حسب Pierre Chambat بولادة مدرسة حقيقية، غير مرئية[53] collège invisible، فإن هذا التنوع وهذا الاختلاف في التأويلات مرتبط بنشأة هذا التيار، وهذا الزخم المفاهيمي يفسر لدرجة كبيرة صعوبة رسم حدود واضحة للأعمال المتعلقة بتكنولوجيات الإعلام والاتصال، لوصف تلك التي يمكن أن نسقطها في خانة سوسيولوجيا الاستخدامات، ومع ذلك فان تنوع وتعدد تخصصات هذه الأبحاث لا يحيل بالضرورة إلى سلبيتها أو تدني مستواها.

على الرغم من هذا التباين، فإن سوسيولوجيا الاستخدامات تظهر على أنها تتمحور حول نواة مشتركة من الفرضيات والمسلمات، حيث نجد أولى المبادئ الإبستيمولوجية المهيكلة لهذه الأعمال هي ثنائية: تقنية/مجتمع والتي نجدها في قلب تأملات الباحثين في العلوم الاجتماعية، وثانيها، المتعلقة ببناء تفكير متجدد حول العلاقات المتبادلة بين المبتكرات التقنية والتغيرات الاجتماعية.

خاتمة :

نختم بالإشارة إلى الهيمنة العددية والنظرية للبحوث المتعلقة بتكنولوجيات الإعلام والاتصال Les TIC ، وفرضياتها النظرية الرئيسية وكذا بعض مواضيعها التي فرضت نفسها، لنصيغ بذلك ملاحظتين رئيسيتين تتعلقان بحدود هذه المقاربة.

أولا: لقد سبق وأن أشرنا أنه على الرغم من اهتمام سوسيولوجيا الاستخدامات بالعلاقة بين ما هو تقني وما هو اجتماعي، إلا أنها تميل باستمرار لمواجهة الحتمية التقنية مقابل الحتمية الاجتماعية، وتقلق وتتساءل عن الخطاب الذي يعلن عن عهد اجتماعي جديد متأثر بوسائل الإعلام والاتصال، ويبدوا أن بعض المختصين وقعوا في الجهة أو الطرف المقابل، من خلال نقدهم للمقاومة الاجتماعية للابتكارات التقنية، حيث أن Marc Guillaume رسم حدود الحتمية الاجتماعية فيقول: "لا ينبغي أن نخطأ في المفردات والمفاهيم، فرفض المستخدم لتبني المبتكرات، مرتبط ببطء امتلاكه لها ولا يعني أنه تعبير عن المقاومة، وهذه الفكرة قليلة القوة والتماسك، وتعد في بعض الحالات مثالية للمستقبل المشرق، فإذا كنا نعتقد أنها قوة دائمة تحفز الابتكار،

فنحن نميل أيضا إلى الاعتقاد بأن المستخدمين وبناء على هذه القوة يقومون بكبح الحركة التي تعتبر مسارا لا مفر منه"[54].

نجد في مقال لـ: Francis Jauréguiberry الذي نشره سنة 1994 في مجلة Réseaux[55] مراجعة نقدية، حيث يختبر في الواقع الأطروحات التي قدمها علماء الاجتماع والتي تفترض فشل المبتكرات التقنية في توليد التغيير الاجتماعي، فحسبهم هندسة الإعلام لا تقوم سوى بإعادة إنتاج أو ترسيخ البنية الغير متكافئة للفضاء الاجتماعي وتعزز الفوارق المكانية، وبالتالي استبعاد أي إمكانية فعالية ونشاط، أو أي تعبئة من أجل التغيير.

نلمس من خلال اطلاعنا على مجموعة من البحوث الثراء التنوع في معالجة الظواهر الاتصالية الناتجة عن الاستخدام الاجتماعي لتكنولوجيات الإعلام والاتصال les TIC ، والتي أضحت تعد من أهم المقاربات البحثية المرشحة لدراسة الإشكاليات المعاصرة للظواهر السوسيو-اتصالية، كأن تتساءل مثلا: عن الطريقة التي تعمل وتهيكل بها "ذاتية" المستخدمين لاستخداماتهم لتكنولوجيات الإعلام والاتصال؟ وكذا الطريقة التي فيها تتحرك أنماط "بنائهم الذاتي" المرتبطة بشروطهم الموضوعية في الوجود في حياتهم اليومية وفي علاقاتهم العملية وغير العملية؟ أو التساؤل هل فعلا تكنولوجيات الإعلام والاتصال تقود إلى "التجزئة المتزايدة للمساحات المعيشية" وتسمح بظهور آليات التميز الغير معلنة، أو أنها لا تقوم سوى بنقل نماذج للتعبير عن الذات دون تغيير في الواقع الحالي؟ هل فعلا هذا الاستخدام يؤكد على الارتفاع في "الانتقائية الثقافية" أو أنه مجرد ناقل لأكثر من ثقافة إيجابية في عالم السلع ويساهم في إعادة الإنتاج الرمزي للنظام الاجتماعي؟ هل فعلا يساهم الاستخدام في ظهور أشكال جديدة للتبادل الاجتماعي، وفي توسيع التفاعلات الاجتماعية، وفي بناء علاقات اجتماعية غير مصرح بها أو أنه مجرد عنصر ليس له تأثير كبير على إعادة توزيع الأدوار (مثل ظهور و/أو تأكيد أدوار محددة مثل تلك المتعلقة بالمعارف أو بالمراقبة)، وهل فعلا يؤدي إلى علاقات اجتماعية بين الجنسين، أو يطور بيئات المنزل العائلية؟[56] وغيرها من التساؤلات....

قائمة المراجع:

1. مليكة جابر، إسهام الابستومولوجيا في تعليمية علم الاجتماع، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد الثامن، جوان2012، ص393.
2. CHAMBAT Pierre, Usages des technologies de l'information et de la communication (TIC) : évolution des problématiques,op cit, p263.
3. Loc cit, p249.
4. Josiane JOUËT, - Retour critique sur la sociologie des usages.- In : Réseaux n°100, Hermès Science Publications, Paris, 2000, p :493.
5. عبد الوهاب بوخنوفة، المدرسة، التلميذ، المعلم، وتكنولوجيات الإعلام والاتصال، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2007، ص 50.
6. LACROIX, Jean-Guy, « Entrez dans l'univers merveilleux de Vidéoway », dans De la télématique aux autoroutes électroniques. Le grand projet reconduit, Presses Universitaires de Grenoble, 1994, p :137
7. Yves-François Le Coadic, usage et usagers de l'information, Paris ABS , 2001 .P.56.
8. اسماعيل بن دبيلي، التمثلات، الاستخدام، والتملك قراءة في المفاهيم والمقاربات، في كتاب وسائط الاتصال بين الاستعمال والاستخدامات الصادر عن الملتقى الوطني الأول حول استخدامات وتلقي المنتجات الإعلامية والثقافية في الجزائر، الجزائر، 2015، ص 136.
9. Florence Millerand, Usages des NTIC- les approches de la diffusion, de l'innovation et de l'appropriation (1ère partie), Composite, Université de Montréal,1998, p : 03.
10. محمد عاطف، قاموس علم الاجتماع، القاهرة، الهيئة المصرية للكتاب، 1979، ص36.
11. Patrice, FLICHY. « L'action dans un cadre sociotechnique. Comment articuler technique et usage dans une même analyse?, Presses de l'Université du Québec, 1995.p :26.
12. Josiane JOUËT, Op_cit, p : 502
13. سعيد لوصيف، عن مفهوم اللاستحواذ (اللاتملّك)، وبعض محدادته النفسية والاجتماعية – مراجعة نقدية في تناول المجتمع الجزائري للإبداعات التقنية، محاضرة ألقيت بالملتقى الدولي حول الإعلام الجزائري من ثورة التحرير إلى ثورة المعلومات، المنعقد بقسم الإعلام والاتصال بجامعة وهران المنعقد يومي 15 و16 جانفي 2013، ص: 04.
14. سماعيل بن دبيلي، مرجع سبق ذكره، ص 136.

15.سعيد لوصيف، مرجع سابق، ص: 03.

16.نفس المرجع السابق، ص05.

17. JOUËT Josiane, Retour critique sur la sociologie des usages , op cit.

18. PROULX Serge, Penser les usages des technologies de l'information et de la communication aujourd'hui : enjeux – modèles tendances, in Lise Vieira et Nathalie Pinède, éds, Enjeux et usages des TIC aspects sociaux et culturels, Tome 1, Presses universitaires de Bordeaux, , 2005, p. 7-20.

19. JOUËT Josiane, Retour critique sur la sociologie des usages, op cit.

20. CHAMBAT Pierre, op cit..

21. BABOULIN J.C., GAUDIN J.P., MALLEIN Ph., Le magnétoscope au quotidien : un demi-pouce de liberté, Paris, Aubier INA/Res Babel, 1983.

22. MARCHAND Marie, ANCELIN Claire, Télématique : promenade dans les usages, Paris, La Documentation Française,1984, 207 p.

23. JAUREGUIBERRY Francis, Un goût d'ubiquité. Usages sociaux du visiophone, IRSAM / CNRS, 1989.

24. PROULX S., TAHON M.B., (1989), « La machine infernale: l'expression des peurs chez des usagers de micro-informatique », Technologies de l'information et société, Montréal, pp. 71-92.

25. JOUËT Josiane, Retour critique sur la sociologie des usages, op cit, p 494.

26. JOUËT Josiane, « Pratiques de communication : figures de la médiation », Réseaux, n°60 « Les médiations ». 1993, p16.

27.ميشال دوسارتو، ترجمة: محمد شوقي الزين، ابتكار الحياة اليومية "فنون الأداء العملي"، دار الاختلاف، الجزائر، 2011.

28. JOUËT Josiane, « Pratiques de communication : figures de la médiation », op cit, p17.

29. JOUËT Josiane, « Usages et pratiques des nouveaux outils », dans SFEZ Lucien (Ed.), Dictionnaire critique de la Communication, Tome 1 « Les données de base – Les théories opérationnelles », Paris, PUF,1993, pp. 371-376.

30. FLICHY Patrice, L'innovation technique. Récents développements en sciences sociales. Vers une nouvelle théorie de l'innovation, Paris, La Découverte,1995, p 255.

31. Ibidem.
32. GUILLAUME Marc , Où vont les autoroutes de l'information ?, Paris, Descartes & Cie, 1997.
33. JOUËT Josiane, « Usages et pratiques des nouveaux outils », op cit, pp 374-375.
34. BOULLIER Dominique, L'usager, l'utilisateur et le récepteur : douze ans d'exploration dans les machines à communiquer, Habilitation à diriger des recherches, 1995.
35. JOUËT Josiane, « Usages et pratiques des nouveaux outils », op cit, pp 374-375.
36. [1] QUERE Louis, « Espace public et communication : remarques sur l'hybridation des machines et des valeurs », dans CHAMBAT Pierre (Dir.), Communication et lien social : usages des machines à communiquer [Actes du Colloque « Machines à communiquer », Paris-La Villette, 1991], Paris, Editions Descartes, 1992.
37. QUERE Louis, loc cit, p32.
38. DE FORNEL Michel, « Le visiophone, un artefact interactionnel », dans CHAMBAT Pierre (Dir.), Communication et lien social : usages des machines à communiquer [Actes du Colloque « Machines à communiquer », Paris-La Villette,1991], Paris, Editions Descartes, 1992.
39. GRAS A, JOERGES B, SCARDIGLI Victor (Eds.), Sociologie des techniques de la vie quotidienne, Paris, L'Harmattan, 1992.
40. - مقالات Chambat سيق وأن تطرقنا إليها في التهميشات السابقة، أما Scardigli فنجد من بين كتاباته : - SCARDIGLI Victor, Le sens de la technique, Paris, PUF, 1992.
41. CHAMBAT Pierre, « Communiquer, relier », dans CHAMBAT Pierre (Dir.), Communication et lien social : usages des machines à communiquer [Actes du Colloque « Machines à communiquer », Paris-La Villette, 1991], Paris, Editions Descartes, 1992.
42. TOUSSAINT Yves, « La parole électronique. Du minitel aux nouvelles 'machines à communiquer' », Esprit, n°186 « La télématique ou les nouvelles frontières du privé et du public », 1992.

43. JOUËT Josiane, « Relecture de la société de l'information », dans CHAMBAT Pierre (Dir.), Communication et lien social : usages des machines à communiquer [Actes du Colloque « Machines à communiquer », Paris-La Villette, 1991], Paris, Editions Descartes, 1992.
44. JOUËT Josiane, « Pratiques de communication : figures de la médiation », op cit.
45. SCARDIGLI Victor, « Les technologies de l'information changent-elles les structures de la vie en société ? », dans FREEMAN C., MENDRAS H., Le paradigme informatique : Technologies et évolution sociale, Paris, Ed. Descartes et Cie, 1995.
46. HEURTIN Jean-Pierre, « La téléphonie mobile, une communication itinérante ou individuelle? Premiers éléments d'une analyse des usages en France », Réseaux, Issy-Les-Moulineaux, n°90 « Quelques aperçus sur le téléphone mobile », 1998, pp. 37-50
47. HEURTIN Jean-Pierre, op cit.
48. MALLEIN Philippe, TOUSSAINT Yves, « L'intégration sociale des technologies d'information et de communication : une sociologie des usages », Technologies de l'information et société, Vol. 6, n°4 « Technologies de l'information et modes de vie », 1994.
49. HEURTIN Jean-Pierre, op cit.
50. BARDIN Laurence, (2002), « Du téléphone fixe au portable. Un quart de siècle de relations interpersonnelles médiatisées en France », Cahiers internationaux de sociologie, Vol.CXII «Communication et liens sociaux », p112 .
51. CHAMBAT Pierre,op cit, p 254.
52. JOUËT Josiane, Retour critique sur la sociologie des usages, op cit, p493
53. CHAMBAT Pierre (Dir.), Communication et lien social : usages des machines à communiquer [Actes du Colloque « Machines à communiquer », Paris-La Villette, 1991], Paris, Editions Descartes,1992, p15-16.
54. GUILLAUME Marc, Articulation entre les échanges immatériels: présentation, dans OBABIA Alain, Entreprendre la ville [Colloque de Cerisy], Chapitre 2.2 , Editions de l'Aube,1997, p41.
55. 1 JAUREGUIBERRY Francis, De l'appel au local comme effet inattendu de l'ubiquité médiatique , Espaces et Sociétés, n° 74-75 « Les nouveaux territoires de la prospective », 1994, pp.117-133.
56. سهيلة زوار، نحو مقاربة نقدية في الاستخدام الاجتماعي لتكنولوجيات الإعلام والاتصال، في كتاب وسائط الاتصال بين الاستعمال والاستخدام، ط1، درمك، الجزائر، 2015، ص 163.